توجيهُ المتشابهِ اللَّفظي في تقديم الضرِّ وتأخيره:

تـقـديـمُ الـضـرِّ باعتباره أيسرَ على المخلوقين، وتأخيره من باب الاستقصاء

قُدِّم ﴿ضَرًّا﴾ على: ﴿نَفْعًا﴾ في الآيةِ، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾ [الأنعام: 76]؛ لأنَّ النُّفوس أشدُّ تطلُّعًا إلى دفعِه مِن تطلُّعها إلى جلبِ النَّفع، فكان أعظمُ ما يدفعهم إلى عبادة الأصنام أنْ يستدفعوا بها الأضرارَ بالنَّصر على الأعداء، وبتجنُّبها إلحاقَ الإضرار بعابديها، ولأنَّ دفعَ الضرِّ أَوْلى من جلب النَّفع، ولأنَّه أوَّلُ مراتبِ النَّفع وأولاها بالتقديم، ولأنَّ مَن قدِر عليه كان أقدرَ على جلبِ المنفعة، وأمّا في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ﴾ [الرعد: 16]؛ فقد قُدِّم ذكرُ النَّفع على الضرِّ؛ لأنَّه من باب الاستقصاء في عَجْزهم؛ لأنَّ شأن الضرِّ أنَّه أقربُ للاستطاعة وأسهلُ[1]، كما أنَّ لفظ ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ [الرعد: 16] الوارد في الآية يستدعي تقديمَ النَّفع على الضَّرِّ؛ إذ ظنّوهم أنصارًا يَحمونهم، وينفعونهم من دون الله، فسُلِبَتْ عنهم ملكيَّةُ النَّفع دَفْعًا لوهْمِهم الفاسد وتصوُّرِهم الكاسد.

فنُّ الطِّباق:

الـلَّـفـظـانِ المُـتـضـادّانِ حاصرانِ لجميع الصّوَر الكامنة بينهما

بين لفظتَي (النَّفع والضرِّ) طباقٌ، حيث إنَّ ذكرَ اللفظتين تقابلٌ جامعٌ لكلِّ أنواع الخير والشرِّ، ومَن كان عاجزًا عن إحداث الضَّرر والنَّفع بنفسه - وهما ضدّان - فهو عاجزٌ عن جميعِ صور الخير والضَّرر الكامنين بينهما، فما توهُّمات هؤلاء المشركين بأنَّ هذه الآلهةَ تدفعُ عنهم مضرَّةً، أوْ تجلب لهم مصلحةً إلّا ضلالٌ مبين وتصوُّرٌ خبيث.

نكتةُ إعادة حرف النَّفي:

عطفَ النَّظم القرآنيُّ قولَهُ تعالى: ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ على المفعول به:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 113.

﴿ضَرًّا﴾ مسبوقًا بحرف النَّفي مع إمكان الاستغناء عنه؛ لتأكيدِ عجز الآلهةِ المزعومةِ عن النَّفع، وفي ذكر حرف النفي (لا) تأكيدٌ لهذا النَّفي، فقد يُتصوَّر أنَّ الآلهة قد لا تقدرُ على دفع الضُّرِّ، لكنَّها قد تقدرُ على جلب النَّفع، فذكر حرفَ النَّفي تأكيدًا لهذا المعنى، كما أفادت (لا) المؤكِّدةُ استغراقَ النَّفي وشمولَهُ، فهم غيرُ مالكينَ لشيءٍ ممّا قد يتوهَّمُه العابدون من خيرٍ يُرتجى أوْ ضرٍّ يندفع.

تأكيدُ نفي ما قد تتوهَّمه الأفهامُ القاصرة

مناسبةُ ترتيبِ الجُمَلِ المتعاطفة:

جيءَ بجملةٍ معطوفةٍ منفيَّةٍ أخرى، وهي: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾؛ للتَّصريح بعجزهم عن إماتةِ الأحياء وإحياءِ المَوْتى وبعثِهم، بعدَ بيانِ عَجْزهم عمّا هو أهونُ من ذلك؛ لأنَّ مَن عجز عن الأمر الهيِّن؛ كانَ عن العظيم أعجزَ، فالتَّنصيصُ على هذه الجملة بعدَ بيانِ عجزِهم عمّا هو أهونُ من هذه الأمور، مِن دفع الضُّرِّ وجلب النَّفعِ لأنفسِهم؛ للتَّصريحِ بعَجْزهم عن كلِّ واحدٍ ممّا ذُكر على سبيل التَّفصيلِ، وللتَّنبيهِ على أنَّ الإله يجبُ أنْ يكونَ قادرًا على جميعِ ذلك[1]، وبذلك العطف يترقّى العجزُ المُثبتُ لتلك الآلهة المزعومة، وتزدادُ الفوارق بين الإله الحقِّ وتلك الآلهة الباطلة، فالجامعُ بين الجملتينِ المُتعاطفتين خياليٌّ لتقارُن صوَر العَجْز وتداعيها في الخيال.

مَـنْ عَـجَـزَ عن الأمـر الـهَـيِّن؛ كان عن العظيم أشدَّ عجْزًا

دلالةُ التَّعبيرِ بصيغة المضارع:

وفيها عبَّر بالفعل المنفيِّ: ﴿يَمْلِكُونَ﴾ مضارعًا؛ لإفادة عجزهم عن الإماتة والإحياء والبعث، واستمرار ذلك العجز في كلِّ العصور والأزمان، وللإيماء إلى أنَّ هذا الملك هو للمَلِك الحقِّ، ولم يقل: (ولا يُميتون، ولا يُحيون، ولا يَنشرون)؛ لأنَّ نفيَ القوَّة أبلغُ من نفيِ الفعل؛

نـفـيُ الامـتـلاك أبـلـغُ مـن نفي الفعل

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 83.

إذ لو انتفى الفعلُ، فلا يعني أنَّهم فاقدونَ لتلك القدرة، ولذا كان النَّفيُ متوجِّهًا لنفي القدرة على الفعل دونَ الفعل ذاته.

نكتةُ تكرارِ فعل ﴿يَمْلِكُونَ﴾:

كُرِّر ذكر فعل ﴿يَمْلِكُونَ﴾ في الآية الكريمة؛ لانفراد كلٍّ نفيٍ بنفسِه، فنفى في الجملة الأولى مِلك الآلهة دفعَ الضرِّ وجلبَ النَّفع، ونفى في الأخرى مِلكَ الآلهة الحياةَ أوِ الموتَ، وذلك أنَّ الأولى تخصُّ الحياةَ بتفاصيلها اليوميَّة المتعلِّقة بالنَّفس، والأخرى تناولت أصلَ الحياة وزوالِها، فهي تخصُّ الحياة بكليّاتها، فالآلهةُ المزعومة عجزت عن هذه بتفصيلاتها اليوميَّة، وعجزَتْ عن النُّهوض بكليّاتها، فمَن لم يفهم هذه فليفقَهِ الأُخرى، كما انحصرَ نفيُ الجملة الأولى في جلْبِ المنافع ودفعِ المكاره عن النَّفس، فكان ذلك مدعاةً لنفي الجملة الثانية المتعلِّقة بالآخرين، ومن ثمَّ فلا يملكون حياةً أوْ موتًا أوْ نشورًا لغيرهم، وأجملَ في الجملة الأولى الضُّرَّ والنَّفعَ، وفصَّلهما في الجملة الثانية.

الآلهةُ لا تستطيعُ التَّصرُّفَ بتفاصيل الحياة ولا بكُلّيّاتها

غرضُ تنكير ﴿مَوْتًا﴾ وتقديمه:

جاء المفعول ﴿مَوْتًا﴾ نكرةً؛ ليعمَّ كلَّ ما يدخل تحت لواء لفظ (الموت)، فهذه الآلهةُ لا تملك موتًا ولا إماتةً ولا إنامةً ولا سلْبًا للرّاحة، وهذا من بديع أغراض التنكير أنْ يدخلَ في اللَّفظ جميعُ أنواع المعاني الحقيقيَّة والمجازيَّة، المصدريَّة والاسميَّة، العَلَميَّة والوصفيَّة، كما دلَّ التنكيرُ المنفيُّ على أنَّهم لا يملكون أدنى قدرةٍ على أقلِّ أنواعِ الموت ومُسبِّباته، فالتنكيرُ مفيدٌ التقليلَ، والموتُ له صورٌ كثيرة وأحوالٌ متعدِّدة، وهم عاجزونَ عن إحداث أيَّة صورةٍ وحالٍ منه، وإنَّما قدَّم الموتَ على الحياة لمُناسبتِه تقديمَ الضرِّ على النَّفع في الآية، كما أنَّ العابدينَ كانوا يخشَونَ من الآلهة إيقاعَ الموتِ فيهم، فقُدِّمَ لاهتمامهم به، ولذا أخَّر الحياةَ مع أنَّها النازلة فيهم

كلُّ ما يصدق عليه اسمُ الموت فهو خارجٌ عن حدود الاستطاعة

أوَّلًا، ويحتملُ أنَّه أراد بالحياة ما كانتْ بعد الموت، فيكون التقديمُ بحسب التحقُّق الواقعيِّ.

نكتةُ العطف بالواو وتكرار النفي ﴿وَلَا﴾:

جاء العطف بالواو دونَ (أو) في قوله تعالى: ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾؛ لأنَّ الأمرَ ليس خاضعًا للتخيير، بل لنفي استطاعتهم تحقيقَ شيءٍ من الحياة، كما أنَّ (لا) النافية تكررت لإفادة التوكيد والشمول.

استغراقُ النّفي والجمعُ بين المتضادَّين لإظهار العجز الكامل

بلاغة الطباق في قوله: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً﴾:

بين قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾، وقوله: ﴿وَلَا حَيَوٰةً﴾ طباق، والجمعُ بين اللَّفظينِ المتضادّين دالٌّ على منتهى العَجز عن الفعل والتأثير.

دلالة التعبير بـ ﴿حَيَوٰةً﴾ مادة وصيغة:

الحياة بمفهومها الحقيقيِّ والمجازيِّ هي لله تعالى وحدَه

جاء لفظ ﴿حَيَوٰةً﴾ نكرةً في سياق النَّفي، فعمَّ كلَّ معنًى يحتملُهُ هذا اللَّفظ، من الحياة الحقيقيَّة والمجازيَّة، فهم لا يملكون الحياةَ المعهودة، ولا الإحياءَ بعدَ الموت، ولا الحياةَ المعنويَّة التي هي بمعنى السَّعادة، ولا الحياةَ التي بمعنى الهداية، ولا الحياة بمعنى الوجود من عدم، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ هذه الحياة لا يملكُها على التحقيق إلّا اللّهُ ﷻ، ونلحظ في التنكير أيضًا دلالة التقليل من وجهٍ آخر؛ فهم لا يمتلكون القدرة على أقلِّ صور الحياة وأشكالها، والحياة لها صورٌ متعدِّدةٌ وأشكال متنوِّعة، وهم عاجزون عن أدناها وأقلِّها، وعبَّر عن (الموت والحياة) بلفظِ المصدر الدالِّ على الحقيقة والماهية لنفي أيِّ امتلاك لهم لتلك الحقيقتينِ بأيَّة صورة من صوَرهما ومصداقٍ من مصاديقهما المعروفة، ونفيُ الحقيقة أبلغُ من نفي الأفراد للشُّمول والاستغراق.

النُّشورُ مرحلةٌ متوسِّطة بين الإحياء والحساب

بلاغةُ اختيارِ لفظ ﴿نُشُورًا﴾:

آثرَ النَّظم الكريم اختيارَ لفظ (النّشور) في قوله تعالى: ﴿وَلَا نُشُورًا﴾، دونَ (البعثِ) أوِ (الحشر) ونحو ذلك من الألفاظ؛ لما في هذا اللَّفظ من بيانٍ لأولى مراحل البعث والحساب، فإنَّ النُّشورَ

يكون بعدَ طيِّ الإنسان واستحالتِه ترابًا في الأرض، فنبَّهتِ الآية على أنَّ النشورَ قريبٌ من معنى الإحياء، وقريبٌ من معنى البعث للحساب، فلا يكون النَّشرُ إلّا صورةً من صور الإحياء، وما يأتي بعده هو غايةُ البعث، وهو الحساب، فذِكرُ هذه المفردة فيه تنبيهٌ على هذا المعنى البديع، وهذا مبنيٌّ على أنَّ المراد بالحياة ما كانتْ بعدَ الموت، وإنْ أُريد بالحياة ما كانت أوَّلَ مراحل الإنسان الوجوديَّة التي يعقبُها الموتُ، فإنَّ النُّشور متحقِّقٌ بعدَ الموت، فيكونُ ذكرُ النُّشور لفتًا إلى معنى عزيز، وهو أنَّ مَن لا يملك الإماتة والأحياء لا يملك النَّشر للأموات، وأنَّ مَن يملكهما يملكُ النَّشرَ أيضًا، فما بالُكم تُنكرون النشر والبعث بعد الموت؟

فنُّ الإدماج:

من لـوازم الإلـه الـحـقِّ الـبـعـثُ لمحاسبة الخلقِ

ذكرت الآية الكريمة (النشور)، ولم يدَّعِ العربُ قدرةَ الآلهة على ذلك، بل أنكروا الإيمان بعقيدة البعثِ بعد الموت، فإيرادُه في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ جاءَ لإدماج معنى الاعتراف بالآخرة في سياق نفي قدرة الآلهة على شيءٍ، وتظهر بلاغةُ الإدماج في لازم معنى الإلهيَّة، فإنَّ الإله الحقَّ خلق الخلقَ؛ ليكلِّفهم بالعبادةِ، فيعبدوه، ثمَّ يُحاسبَهم، وهذا لا يكون إلّا بعد النشور، فإذا لم يكن ذلك للإله؛ فليس هو بإلهٍ، وهذا المعنى عقليٌّ لزوميٌّ، ففيه حجاجٌ بديعٌ، خفيَ على كثيرٍ ممَّن تصدّى لبيان حِجاج القرآن مع المشركين.

نكتةُ تكرار حرف النَّفي:

دفْعُ توهُّمِ قدرة الآلهة على فعل بعض المَنفيّات

ممّا يُلحَظُ في نظم الآية تكرارُ حرف النَّفي: (لا) ستَّ مرّات، في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾، وعدمُ الاكتفاء بذكره ثلاثَ مرّات قبل الأفعال، كما يقتضي

الظّاهر، ونكتةُ ذلك: نفيُ قدرة الآلهة على فعلِ أيِّ واحدٍ من هذه الأشياء نَفْيًا مستقلًّا، ودفعُ توهُّم أنَّها تقدر على بعض المنفيّات، ولا تقدرُ على بعضِها الآخر، و"الإيذانُ بغايةِ جهل المُشركين وسَخافةِ عقولِهم، كأنَّهم غيرُ عارفين بانتفاء ما نُفي عن آلهتِهم من الأمورِ المذكورةِ مفتقرونَ إلى التَّصريح به"[1]، كما أنَّ توالي النَّفي بشكلٍ مكثَّفٍ يرسمُ في ذهن المخاطَبِ بهذا النَّظم أنَّ هذه الآلهةَ المزعومة عبارةٌ عن عدمٍ محْضٍ؛ لأنَّ مَن لا فعلَ له في شيءٍ، ولا يمتلكُ التَّأثيرَ الفعليَّ المضادَّ كالضر والنفع والإحياء والإماتة؛ فهو مسلوبُ التأثير والفعل، وما ذاك إلّا دليلٌ على عدميَّتِه في الحقيقة، وهو المقصدُ الذي يراد الوصولُ إليه، وتنبئ عنه معنى كلمة التَّوحيد (لا إلهَ إلا الله)؛ لأنَّ الإلهَ الحقَّ هو الفاعلُ والموجِدُ للأفعال كلِّها.

بلاغةُ الإيجاز بالحذف:

عند أمن اللَّبس يحسُنُ الحذفُ ويجملُ البيان

في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ إيجازٌ بحذف الأفعال على سبيل الاحتباك، فحُذِفَ فعلُ ﴿يَمْلِكُونَ﴾ مع قوله تعالى: ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ لدلالةِ الأوَّل عليه، وحذفَه مع قوله تعالى: ﴿وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾؛ لدلالة الثاني عليه، وقوَّى وجهَ الحذف ذكرُ (لا) مع الأسماء الثلاثة، وهذا من بديع الحذف؛ لأمن اللَّبس، وفي حذفِ الفعل والاكتفاءِ بالعطف تأشيرٌ إلى أنَّ مناطَ التركيز عليه هي الأفعال المسلوبةُ عنهم دون فعل الامتلاك المنفيِّ، فهم لا يقدرونَ على إيجاد فعلٍ من الأفعال كالضرِّ والنَّفع والإماتةِ والإحياء والنَّشر.

بلاغةُ النَّفي التصاعديِّ:

من لطيف ما يُذكر في الآية بلاغةُ النَّفي التصاعديِّ، فنفى

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 83.

نـفـيٌ لـواحـدٍ فـاثـنين فثلاثة تـدرُّجٌ في إقامةِ الحجَّة

ابتداءً في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾، قدرتهم على الخَلْق، وهو نفيٌ لشيءٍ واحد، وخصَّه وحدَه بالنَّفي لأهميَّتِه ومكانته؛ إذ مَن لا قدرة له على الإيجاد والتخليق، فليس بإلهٍ أصلًا، ثمَّ نفى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ استطاعتَهم دفْعَ الضرِّ وجلبَ النَّفع، وهو نفيٌ لشيئين، وخصَّهما بالذكر لما بينَهما من التَّناسبِ الضدّي أوَّلًا، ولأنَّ العابدين يتمكَّنون من الضرِّ والنفع ظاهرًا، فكيف يتوجَّهون بالعبادة والخضوع لمسلوب النَّفع والضرِّ ثانيًا؟ ثمَّ نفى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ استطاعتَهم الإماتةَ والإحياءَ والنُّشور، وهي نفيٌ لثلاثة أشياء، وجمعَها في الذِّكر لما بينَها من التناسُب الضديِّ، وأنَّها تنتمي إلى حقلٍ يتعلَّقُ بالمخلوقات بعدَ إيجادها، مِن منحِها الحياة أوْ سلبِها لها أوْ نشرِها بعد موتها، وهذا نفيٌ تصاعديٌّ بليغٌ، ونكتتُهُ قائمةٌ على التدرُّج في إقامة الحُجَّة ببطلان عبادة الآلهة المزعومة، وإثبات أحقيَّة ذلك للّه تعالى وحدَه.

فنُّ المقابلة بين الآية والتي قبلها:

التَّناغمُ والانسجام بينَ ما أثبت لله تعالى وما نُفي عن الآلهة المزعومة

ولو قارنا هذه الآية التي تراكمَ فيها النفي وتكاثف مع الآية التي سبقتها؛ لتبيَّن لنا مدى التناسُب بينهما؛ إذ قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ۝٢﴾ [الفرقان: 2]، مثبتًا لذاته الجليلة مالكيَّتَه لجميع المخلوقات، وأنَّه ليس له ابنٌ يخلُفُه، وليس له شريكٌ فيما يملكُه، وأنَّه خالقُ كلِّ شيء وقد نظَّمه، وقدَّره بشكل دقيقٍ لا اختلالَ فيه ولا اضطرابَ، فناسبَ أنْ يقابل ذلك التفرُّد التامَّ بتوالي النفي الذي يسلبُ أيَّ قدرةٍ تأثيريَّةٍ لتلك الآلهة الباطلة، وقد وضَّح ذلك التقابل وفصَّله ابن عاشور بقوله: "وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: 2]، وقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾

مُحَسِّنُ الطِّباقِ، وجُملَةُ: ﴿لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا﴾ مُقابِلَةٌ جُملَةَ ﴿ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الفرقان: 2]، وجُملَةُ: ﴿وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾ مُقابِلَةٌ جُملَةَ: ﴿وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا﴾ [الفرقان: 2]، وجُملَةُ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا﴾ مُقابِلَةٌ جُملَةَ: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ﴾ [الفرقان: 2]؛ لِأَنَّ الشَّرِكَةَ في المُلْكِ تَقْتَضي الشَّرِكَةَ في التَّصَرُّف، وجُملَةُ: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا﴾ مُقابِلَةٌ جُملَةَ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [الفرقان: 2]، فكلُّ مقطعٍ من هذه الآية يُقابل مقطعًا من الآية التي سبقَتْها بترتيبٍ عجيب ونظم دقيق، فيتحقَّق الغِنى والتفرُّد المطلق لله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله، والافتقارُ والحاجة والعجزُ لتلك الآلهة الموهومة.

دلالةُ النَّفي على الإثبات بطريق المخالفة:

مَـنْ يـقـدرُ على فعل المنفيّات هو المعبود الحقيقيُّ

نفيُ هذه الأفعالِ عن الآلهة المزعومة يقتضي - بطريق المخالفة - إثباتَها لله تعالى وحدَه؛ لأنَّ في نفيها عنها تنبيهًا إلى أنَّ الإله يجبُ أنْ يكون قادرًا على التخليق والإيجاد من العدم، وقادرًا على دفع الضرِّ وجلبِ النَّفع، وقادرًا على الإحياء والإماتة والبعث للأموات، ومَن لم يكن كذلك؛ فهو "بمعزلٍ عن الألوهيَّة؛ لعَرائه عن لوازمِها، واتِّصافه بما يُنافيها"[1]، وبما أنَّ الله تعالى هو وحدَه القادرُ على الضرِّ والنَّفع والإحياء والإماتة والبعث، "فيجب أن يكون المعبودَ الحقيقيَّ، وما سواه ليس بمعبود بل هو عابدٌ وخاضعٌ له، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ۝٩٣﴾ [مريم: 93]"[2]، وهؤلاء المشركون كانوا يؤمنونَ بالله ربِّ العالمين ذاتًا موجودةً، لكنَّهم توهَّموا في معبوداتهم وأصنامِهم وأنبيائهم أنَّ لهم تأثيرًا منحهم الله تعالى إيّاه من الضرِّ والنَّفع، فوقعوا في حبل

(1) البيضاوي، تفسير البيضاوي: 4/ 206.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 137.

الشِّرك وأباطيله، وخضعوا لها وعبدوها من دون الله تعالى، فأراد الله تعالى أنْ يُبيِّن لهم أنَّ ما نسبوه لتلك الآلهة المزعومة مسلوبٌ عنها، لا تتمكَّنُ من فعله، وأنَّ الفاعل الحقيقيَّ هو الله تعالى وحده، الذي هجروا عبادتَه وتركوه لمعبوداتٍ باطلة ضعيفةٍ، لا تملك لنفسِها ولا لغيرِها أيَّ ضرٍّ أوْ نفعٍ.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ٤﴾ [الفرقان: 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مَنِ اتَّخذ الباطل إمـامًـا لـه؛ فسيرفضُ الحقَّ آمِرًا له

لمّا ذكرتِ الآيةُ السّابقة صفاتِ ما اتَّخذه المشركون آلهةً للعبادة والطّاعة والتذلُّل، وأثبتَتْ بطريق اللُّزوم والمقابلة تلك الصِّفات للّه وحدَه، وأومأتْ إلى سَخافة عقولِ المشركين الَّذين استحسنوا عبادةَ تلك الآلهة؛ ناسبَ أنْ يذكر في هذه الآيةِ ما هو أشدُّ عجَبًا، وهو ما قالوهُ في شأن القرآن الَّذي يدعوهم إلى عبادة الإله الحقِّ ﷻ، كما أنَّ فيها ارتباطًا ببداية السّورة المتحدِّثة عن تنزيل الفرقان، وأنَّه من عند اللّه تعالى، فتكونُ هذه الآية استقصاءً للردِّ على شُبُهات المنكرين، وتعجُّبًا من كلام المُشركين في حقِّ الذِّكر الحكيم.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿إِفۡكٌ﴾: (أفك) أصلٌ يدُلُّ على قَلْبِ الشَّيْءِ وصَرْفِهِ عَنْ جِهَتِهِ، يُقالُ: أُفِكَ الشَّيْءُ، وأَفِكَ الرَّجُلُ؛ إذا كَذَبَ، والإِفْكُ الكَذِبُ[1]، "ولا يقال: إفكٌ حتى يكذِبَ كذبةً يفحُش قبحُها"[2]، فالإفكُ هو الكذِبُ الشَّديدُ، وهو المقصودُ في الآية على ألسُن المشركين الكاذبة الظّالمة.

2) ﴿ٱفۡتَرَىٰهُ﴾: (فرى): "الفَرْيُ: قطعُ الجلد للخرز والإصلاح، والإفْراءُ للإفساد، والافْتِراءُ فيهما، وفي الإفسادِ أكثر، واستعملَه القرآن في الكِذْب والشِّرك والظُّلم"[3]، "وَمِنَ البابِ: فُلانٌ يَفْري الفَريَّ؛ إذا كانَ يَأْتي بِالعَجَبِ، كَأَنَّهُ يَقْطَعُ الشَّيْءَ قَطْعًا عَجَبًا"[4]،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أفك).
(2) العسكري، الفروق اللغوية: (أفك).
(3) الراغب، مفردات القرآن: (فرى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (فرى).

والمقصودُ في الآية أنَّ النبيَّ ﷺ افترى القرآن من عنده، عن سابقِ تقديرٍ ونسبَهُ إلى الله تعالى.

3) ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾: العَوْنُ: المُعاوَنَةُ والمظاهرة، يقال: فلانٌ عَوْني، أي: مُعيني، والتَّعاوُنُ: التَّظاهر، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: 2]، والاستِعانَةُ: طلب العَوْنِ[1]، والمذكورُ في الآية أنَّ هناك مَن قدَّم الإعانة للنبيِّ ﷺ في هذا الإفك المُفترى المنسوب لله تعالى المسمَّى بالفرقان، وأنَّ ما فيه من الحقائق والأخبار والمعاني والدَّلالات ما هي إلّا من مساعدة أقوام أُخرى له على الإتيانِ بها.

4) ﴿وَزُورٗا﴾: (زور) أصلٌ واحدٌ يَدلُّ على المَيْلِ والعُدولِ، مِنْ ذَلِكَ الزّورُ: الكَذِبُ؛ لِأَنَّهُ مائِلٌ عَنْ طَريقَةِ الحَقِّ، ويُقالُ: زَوَّرَ فُلانٌ الشَّيْءَ تَزْويرًا، وَزَوَّرَ الشَّيْءَ في نَفْسِهِ: هَيَّأَهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْدِلُ بِهِ عَنْ طَريقَةٍ تَكونُ أَقْرَبَ إِلَى قَبولِ السّامِعِ[2]، والزّور هو الباطلُ المُفترى.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضعف حجة المشرك في إشراكه وقوتها في محاجة أهل الإيمان

تُبيِّن الآية الكريمة حالَ المشركين في افترائهم على رسولِ الله ﷺ واتِّهامهم له بأنَّه افترى الكذبَ والباطلَ على الله تعالى، وأنَّه أتى بالقرآن من عند نفسِه، مُستعينًا بأهل الكتاب، في إثرِ بيان اتِّخاذ الأوثان الباطلة؛ لبيان الفرقِ بينَ عقل المُشرك في اتِّخاذ هواه، وعقلِ المشرك في اتِّهام ما يخالفُ هواه، فهم في مُنتهى القصور والضَّعف العقليِّ عند توجُّههم إلى عبادةِ منحوتاتهم التي لا تمتلكُ أيَّ شيء، بينما تقوى في نفوسهم حججهم عند ردِّ آيات الله وتوجيهِ الاتِّهامات الباطلة للقرآن الكريم، الَّذي يُخالف هواهم وضلالاتِهم مع أنَّ عبادتَهم لما لا يستحقُّ صورةٌ جليَّةٌ على إفكهم وافترائهم، فكيف ينسبونَ ذلك الافتراء للكلام الحقِّ المبين؟

(1) الراغب، مفردات القرآن: (عون).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (زور).

❁ الإيضاحُ اللُّغوي والبلاغيُّ:

نوعُ الواو ودلالتها:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ للعطف على جملة: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾، والمعنى: إنَّ ممّا يزيد العجبَ والدَّهشة أنْ يقول المشركون في القرآن ما ليس فيه؛ ظُلْمًا وزورًا، بعدَ أنِ اتَّخذوا من دون الله آلهةً، ليس لها من موجِبات العبادة والتأليه أيُّ شيء، فهو من عطف الأقوالِ على الأفعال، كأنَّه قيل: كيف يتناسبُ هذا القولُ مع ذلك الفعل؟ إذ فعلُهم دليلُ إفكهم وافترائهم، ومع ذلك ينسبونَ الافتراء والإفك للفرقان الكريم، كما أفاد العطفُ القوليُّ على الفعليِّ شدَّةَ ظُلمهم؛ إذ جمعوا بين الفعل الباطل ﴿وَٱتَّخَذُواْ﴾ والقول الزّائف ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، وبذلك مارسوا أعلى درجاتِ التزوير والكذِب والظُّلم، فالجامعُ المُقتضي للوصل خياليٌّ لتقارنٍ بين الفعل والقول في الخيال.

أقـــوالٌ تـثـير الـعـجـب بـعـد أفـعـــال تـثـير الاشمئزاز

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغة الماضي:

جاء التَّعبيرُ بصيغة الماضي: ﴿وَقَالَ﴾؛ لما يُفيده من تأكيد صدور هذ القول منهم، ودفعِ مَظنَّة أنَّه سيُقال، وفيه تسجيلٌ على المشركين ما قالوه في حقِّ النبيِّ ﷺ تصريحًا، وفي حقِّ القرآن بداهةً، وفي حقِّ الله تعالى تلويحًا، فإنَّ قولهم هذا بمنزلة إدانةٍ لهم، سيُحاسبون عليه في الدُّنيا، وسيُجازون عليه في الآخرة؛ إنْ ماتوا على اعتقاد هذا القول.

الأقوالُ الصّادرة عـن الـمـشـركـين إداناتٌ سرمديَّة يوم الدين

نكتةُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول الجمعيّ:

جاء التعبيرُ بالمسند إليه: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمًا موصولًا ظاهرًا بدلًا من الاسم الظّاهر، فلم يقل: (وقال الكافرون)؛ ليتوصَّلَ بفعل صلتهِ الماضي: ﴿كَفَرُوٓاْ﴾ الدالِّ على تشبُّعهم بالكفر ورسوخهم فيه - إلى ذمِّهم، وإلى بيان السَّبب الَّذي دفعهم إلى الافتراء على القرآن،

علَّةُ الافتراءِ على الدّين التشبُّثُ بأوهام المُضلّين

والمعنى: "ما جرَّأَهم على هذا البهتانِ إلّا إشراكُهم وتصلُّبُهم فيه، ليس لشُبْهةٍ تبعثُهم على هذه المقالة"[1]، وأسند فعلَ القول إلى الاسم الموصول الدالِّ على الجمع - مع أنَّ القائلينَ ليسوا كلَّ الكافرين - لأنَّهم سكتوا عن إنكار هذا الافتراء، وكانوا به راضينَ، وزادوا على ذلك بأنْ ردَّدوه، وتناقلوه، كما أفاد التَّعبيرُ بالموصول بيانَ علَّة ذلك القول الذي تُنبئ عنه الصِّلة، فقولُهم الظّالمُ الصّادرُ عنهم بسبب كُفرِهم وضَلالهم وطغيانهم؛ إذ مَن جحدَ الإلهَ الحقَّ، وتركَ عبادته، فهو جديرٌ بجَحْد النبيِّ ﷺ وما أُنزل عليه من ربِّه.

فائدةُ إظهارِ ما حقُّه الإضمارُ:

عـنـوانُ الكفر يـشـمـل كـلَّ مـشـركٍ ومَـن يـؤيِّـده من أهل الكتاب

آثرَ النَّظمُ الكريم إظهارَ الفاعل بالاسم الموصول دونَ إضمارِهِ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، فلم يقل: (وقالوا)؛ للتَّصريح بعنوان القائلين، وهو الكفرُ الجامعُ للمشركين صراحةً، ولغيرهم من أهل الكتاب تلويحًا، فإنَّ المشركين وجدوا تأييدًا من أهل الكتاب في قيلهم، فكان التَّعبيرُ بعموم (الكفر) أعمَّ وأشملَ من التعبير بخصوص (الشِّرك)، ولبيان أنَّ مَنِ اتَّخذ من دون الله آلهةً؛ فهو مشركٌ وكافرٌ معًا، فكلُّ مشركٍ كافرٌ، وليس كلُّ كافرٍ مُشركًا.

نوعُ ﴿إِنْ﴾ ودلالتها:

جاء استعمالُ حرفِ ﴿إِنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وهو حرفُ نفيٍ، لما يفيدُه من شدَّة التَّأكيد معنًى وجرْسًا، كما يوحي بالتَّهوين والتقليل لمن نُفي عنه، فلم يقل: (ما هذا)؛ لأنَّ في (ما) نوعَ تفخيمٍ وتعظيم لما ينفي عنه الخبر.

غرضُ استعمالِ اسمِ الإشارة القريب:

تصويرُ عُنجُهيَّة المُشرك وكِبْره وإبائه الحقَّ

جاء استعمالُ اسمِ الإشارة ﴿هَٰذَآ﴾ للقريب؛ إشارةً إلى القرآن الكريم، وعبَّر الذين كفروا به دونَ الاسمِ الصَّريح (القرآن)؛

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 12.

للحطِّ من رُتبة المشارِ إليه، والتقليلِ من شأنِه، فإنَّ اسمَ الإشارة يدلُّ على المعنى بحسب السّياق، ولمّا كان السّياق في ذكر ما وصفَ به المشركون القرآن بالمفترى؛ كانت دلالتُه على التَّقليلِ من شأنه والازدراء به، وهو ما يُصوِّر عنجهيَّتهم وكبرهم وغطرستَهم.

بلاغةُ أسلوب القصر:

قلبُ الحقائقِ لا يخفى على أهل الحقِّ والرَّقائق

في قوله تعالى: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قصرُ موصوف على صفة، وهو قصرٌ إضافيٌّ، يُفيد قلبَ حقيقة القرآن من كونه وحيًا أنزله اللّه تعالى على رسوله ﷺ؛ ليُنذرهم بما فيه، إلى كونه إفكًا، يزعمون أنَّهم تأكَّدوا من افتراء محمَّدٍ له، ومظاهرتهم في ذلك من قِبَلِ بعض أهل الكتاب، وفي هذا القصر دلالةٌ على التَّأكيد بأجلى صوره، وذلك بجعلِ هذا الافتراء الباطلِ حقًّا وصدقًا، فأكَّدوه لتقرير نسبتِه في أذهانِ المُخاطَبين، كما يرسمُ هذا القصرُ مدى ظُلمِهم وضلالِهم، حتَّى إنَّهم نسبوا هذا الكلامَ الحقَّ بجميع ما فيه من حقائقَ وبراهينَ إلى الكذب والافتراء؛ إذ صارَ بهذا القصر ارتباطٌ شديدٌ بين المشار إليه والإفك المفترى.

نكتةُ القصرِ بطريق النَّفي والاستثناء:

المشركُ يحرصُ على إقناع المخاطَب بما هو شاكٌّ فيه

جاءَ القصرُ بطريق النَّفي والاستثناء؛ لأنَّه يمتازُ عن غيره من طرُق القصر بكونه يُستعمل عندما يكون الكلام موجَّهًا إلى مخاطَبٍ شديدِ التمسُّك بما هو عليه، شديدِ الرَّفض لكلِّ ما عداه، فيحاولُ المتحدِّث صرفَه عن ذلك، وإقناعَه بضدِّه، باصطفاء هذا الطَّريق الذي يزدادُ فيه المعنى قوَّةً من خلال النَّفي أوَّلًا والاستثناء ثانيًا، فقصرُ الخبر بالنَّفي والاستثناء لأمرٍ يُنكره المخاطَبُ، ويشكُّ فيه[1]، والمشركُ يسعى إلى إقناع المخاطَبين بأنَّ هذا القرآن إفكٌ مفترًى، وهو على شديد القناعة بضدِّ ما يقولُه، فكان خيرَ أسلوبٍ يسلكُه هو

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، ص: 332.

النَّفي فالإثبات بالاستثناء، كما يكشفُ عن مدى الظُّلم الذي اتَّصف به الكافرون حتى إنَّهم نسبوا الكلامَ الحقَّ المبين إلى الإفك المفترى.

بلاغةُ استعمالِ مفردةِ ﴿إِفْكٌ﴾:

الـقـرآنُ يـأتي بـنـظـمٍ يكشف خفيّات النُّفوس وخبايا الصُّدور

ما تداوله المشركون من وصف القرآن بأنَّه ﴿إِفْكٌ﴾ هو محضُ الإفك والكذب والافتراء، وقد آثر النَّظم القرآنيُّ أن يذكر هذه المفردة الصّادرة عنهم، وأنْ يأتي بمعنى قيلهم وببعض مفردات قولِهم، بنظمٍ مُعجز بديع، يُظهر خفيّات صدورهم، بما لا يستطيعونَ هم الإتيانَ به، والإفكُ هو الكذبُ العظيمُ الشَّديدُ الأثر في النّاس، وهو الكذبُ المُخترع الَّذي يُرجى من ورائه نشرُ الفساد، فعلى قدر هذا المعنى الذي حَوَتْهُ هذه المفردة كان قبحُ وصفِ المشركين للقرآن، وكانت قوَّة القرآن في ذكر وصفهم، وفي نسبتهم الإفكَ إلى الفرقان الذي بدأت به السّورةُ تقابلٌ عجيب؛ إذ وصفَه الله بالفرقان بين الحقِّ والباطل والخير والشرِّ، فهو إذًا لا يميلُ عن الطَّريق الصَّحيح، فقابلوه بأنَّه إفكٌ وكذبٌ يرادُ منه الإفسادُ للعقول والقلوب، وأصل الإفك الميلُ عن الحقِّ إلى الباطل.

نكتةُ تنكيرِ مفردة ﴿إِفْكٌ﴾:

تعظيمُ الإفك، بقصد الإقناعِ وتأكيد التُّهمة

نُكِّر ﴿إِفْكٌ﴾؛ للمبالغة في التعظيم، وليتسنّى وصفُه بجملة: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، وهذا المعنى مكتسَبٌ من السّياق، فإنَّ إرادة المشركين وصْفَ القرآن بالإفكِ، يدلُّ على عظيم المبالغةِ في الاتِّهام، وأنَّ رسول الله ﷺ - حاشاه - قد أتى بأمرٍ مُنكَر، فإنَّ شأن المُفترين أن يبالغوا في افتراءاتهم، وأن يُعظِّموا من شأن أكاذيبهم؛ ليُقنعوا سامعيهم بما يقولونَه.

الافـتـراءُ أعـظـمُ الـكـذب وهـو مسبوقٌ بتدبيرٍ وتقدير

براعةُ استعمالِ مفردة ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾:

اختصَّت مفردةُ الافتراء بالكذب الذي فُكِّر به سابقًا، وهو الكذبُ الذي يَفتريه صاحبُه عن سابق تقدير وتأمُّل وتدبُّر بما يكون

مُحكمًا غيرَ قابلٍ لأن يُخدش، فليس كلُّ كذب افتراءً، ولكن كلُّ افتراءٍ كذبٌ، فالافتراءُ يختصُّ بالكذب العظيم، المتَّصف بحُسن التدبير والتفكير، وهذا لا يصدرُ إلّا عن صاحبِ مكرٍ وخديعة، فكانَ وصْفُ النبيِّ ﷺ بالافتراء دليلًا على أنَّهم أرادوا وصفَه بلوازم الافتراء، وهو ما يدعو للتَّأمُّل في حال المشركين، وأنَّهم قد بلغوا من الاضطراب والخلل ما لا يخفى على ذي عقل، كما يدلُّ هذا الوصفُ الفعليُّ على استحكام صفة الافتراء في هذا الإفك وتحقُّقِه وحصوله، وفيه إقرارٌ ضمنيٌّ بإحكام ما فيه، ودقَّةِ معانيه، وعظيم تأثيره في القلوب والعقول، حتى إنَّهم نسبوه إلى الكذبِ المُحكَمِ المُتقن، الذي يحتاجُ إلى قوَّة عقليَّةٍ في ردِّه وتفنيده.

فائدةُ الوصفِ بالجملة الفعليَّة الماضية:

المبالغةُ الكاذبة في اتِّهام الخصمِ دليلُ الضَّعف في الحجَّة

جاء وصف ﴿إِفْكٌ﴾ بالجملة الفعليَّة الماضية ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لغرضِ تأكيد أنَّ القرآنَ إفكٌ، وليس وحيًا؛ لأنَّها تدلُّ على أنَّ الرسول ﷺ اختلقَه، وألَّفَه بنفسِه مع إحكامٍ وإتقانٍ في صنع فِريته - حاشاه ﷺ - وأنَّه لم يوحَ إليه شيءٌ منه، وأنَّ هذا الافتراء قد كان له منذ فترةٍ، وليس بالأمر الجديد، ولصحَّة العطف عليها بقوله: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾، ولو خلا منها البيان القرآني؛ لفُهم أنَّهم لا يتَّهمون الرَّسولَ نفسَه بالكذب، ولا يطعنونَ في شخصِه، وهو ما يخالفُ قصدَهم وهدفَهم.

نكتةُ إسنادِ فعل الافتراء إلى الضَّمير:

تـحـاشي ذِكـرِ الـرَّسـول بـالاسـم أوِ الوصف حسَدًا واستخفافًا

أُسنِد فعلُ الافتراء ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ إلى ضمير الرَّسول ﷺ دون اسمِه الظّاهر أوْ وصفه بالرِّسالة أوِ النُّبوَّة؛ ليكون في عزوفهم عنهما دلالة على عدم الاعترافِ بدعوتِه، وعدم إيمانهم برسالتِه، وليكون ثَمَّ توافقٌ بين ما يتكلَّمون به عنه، وما يتَّهمونه به من افتراءِ القرآن وتأليفه، مع ما في الإضمار من الاستهانة وتقليل شأن المتكلَّم عنه،

فهم يَتجنَّبون ذكره كراهيةَ ذكرِه؛ لما بدا من صدورهم من الغلِّ والحسد والاستخفاف، فأرادوا أنْ يَصونوا ألسنتهم عن ذكره، فصانَه الله تعالى عن ألسنتِهم القبيحة.

معنى (الواو) ودلالةُ عطف الجملة على الجملة:

عُطفت جملة: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ على جملة: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾؛ لبيان حال المُشركين في ذِكر أدلَّةٍ من شأنها تقويةُ افترائهم على القرآن، وتأكيدُ اتِّهامهم له بأنَّه أشنعُ الكذب، من خلال ادِّعائهم أنَّ الرسول ﷺ لم يفترِ القرآنَ وحدَه وبقدرتِه الشخصيَّة المحضة، بل أعانه على ذلك ناسٌ لهم علمٌ بالتوراة والإنجيل، وأخبارِ الأمم الدّارجة، فكانوا يُلقونَه إليه، ويقومُ هو بنظمه بأسلوبه وطريقته، وبين كلٍّ من فِعلَي الافتراء والإعانة تناسبٌ وتقارنٌ؛ لأنَّ أحدهما يدلُّ على إتقانٍ شخصيٍّ والآخر يدلُّ على جهدٍ اكتسابيٍّ، جعلَ الجملتين تشتركانِ في تحقيق الهدفِ المنشود لهم، وهو تكذيبُ هذا القرآن الكريم وردُّه وتفنيدُه.

الكافرونَ يحرصون على تقوية افتراءاتهم ودعمِها

براعةُ استعمال مفردة ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾:

استعملَ النَّظمُ الكريم جملة ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾؛ لبيانِ العلاقة بين رسول الله ﷺ وأهل الكتاب، وأنَّ العلاقة بينهم قامت على الإعانة في فحوى القرآن، وتضمينه الأخبارَ والمعاني والحقائق والدلالات، بدل أن يعترفوا بالحق، ويُذعنوا له، وفي اختيار (الإعانة) دون رديفاتها محاولةٌ للغضِّ من رسول الله ﷺ، فهم يَرَوْن أنَّه ﷺ لا يستطيع أنْ يأتي بهذا الإفك المفترى وحدَه، بل لا بدَّ من الإعانة من أهل الكتاب، وهم في الوقت ذاته لا يُدركون أنَّهم وقعوا في بداية شَرَكِهم الذي نصبوه، فهم أرادوا التُّهمة لهم بالضَّعف، فوقعوا في المدح للقرآن ولمن أتى به، بأنَّه احتوى أخبارًا صادقة، ثمَّ وقعوا في التناقض بأنْ قالوا: افتراه، والافتراء كذبٌ محض، ومن يفتري الكذبَ لا يحتاج إلى إعانة

المشركونَ مُتناقضونَ في أقوالهم مُفترونَ في ادِّعائهم

قومٍ آخرين، ويحتملُ أنَّهم أرادوا بالإفكِ المفترى ما فيه مِنَ الدَّعوة إلى عقيدة التوحيد، التي تفرَّد بها هذا الكتاب حتّى عن أهل الكتاب، وتقبيحِ ما هم عليهم من عبادة الأوثان والأصنام، وأردوا بالإعانة ما فيه من أخبارِ الأمم الماضية والأنبياءِ السّابقين وقصصهم، التي حفلَتْ بها كُتُبُ أهل الكتاب وأخبارُهم، فالقرآنُ لا يخرجُ عن قسمٍ مُفترًى وقسمٍ حصل بإعانة أهل الكتاب، ويكونُ التناقضُ حينئذٍ بينَ دعوته إلى عقيدة التوحيد التي تفرَّد بها عن أهل الكتاب، مع اعتمادِه عليهم مصدرًا للإعانة، فكيفَ يأخذ منهم أخبارَ الماضين، وهو ينسبُ لكلِّ الأنبياء تلك العقيدة المفتراة حسبَ زعمهم؟

نكتةُ التعبير بالماضي:

جاء التعبيرُ بصيغة الماضي ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾؛ لأنَّ المشركين أرادوا تأكيدَ حصولِ العون والمظاهرة، وببنائِه الذي يتوسَّطُه حرفُ المدِّ (الألف)؛ ليدلَّ على إرادة المشركين بيانَ أنَّ مساعدة أهل الكتاب قد بلغَتْ في الاختلاق أقصى ما يمكنُ وأبعدَ ما يكونُ.

تحرَّى المشركون تأكيدَ الافتراءِ وتثبيتَ الإعانة

لطيفةُ اتِّصال الفعل بالضَّمير:

جاء الضميرُ في قوله تعالى: ﴿وَأَعَانَهُۥ﴾ العائدُ إلى الرَّسول ﷺ متَّصلًا وجوبًا بالفعل؛ للإشارة إلى أنَّ مظاهرتهم له كانت مُباشرة - في زعمهم - ليس فيها وساطةٌ أوْ إنابة، كما أنَّ فيه استخفافًا وتهكُّمًا بهذا النبيِّ العظيم ﷺ، فلم يشيروا له باسمٍ أوْ وصفٍ، بل اختاروا الضَّميرَ الغائبَ للدَّلالةِ على شدَّةِ جَحْدهم النّاجمِ عن حِقدهم وحسدِهم له.

نكتةُ استعمال حرف الاستعلاء:

استعملَ النَّظمُ الكريم حرفَ الاستعلاءِ متَّصلًا بالضَّمير العائد على الإفك في ﴿عَلَيْهِ﴾، وذلك في قوله: ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾؛ للإلماح إلى أنَّ الَّذين أعانوا الرَّسول ﷺ علَّةٌ لتمكُّن النبي

تمكُّنُ النبيِّ ﷺ من الإقناع؛ علَّلَهُ المشركون بالاستعانة بآخرين

ﷺ على ما جاء به من وحي، جعلوه في نظرهم إفكًا واختلاقًا، كما يتمكَّنُ الفارس من الحصان، أي: جعلوه قادرًا على إقناع الآخرين بأنَّ ما يقولُهُ وحيٌ، لا إفكَ فيه، وهذا من بديع بيانِ القرآن لما تقوَّله المشركون على الوحي، وفي هذا الاستعلاء دليلٌ على الإعانة القويَّة والمساعدة الكبرى من أجل إنجاز هذا الإفك.

بلاغةُ التَّعبيرِ بمفردةِ ﴿قَوْمٌ﴾:

القومُ هم الَّذين يَتظاهرون على أمـرٍ فيقـومونَ عليه

جاء التَّعبيرُ عن المسند إليه بلفظ: ﴿قَوْمٌ﴾ المشتقِّ من فعل القيام؛ للدَّلالة على أنَّ أهل الكتاب كانوا جادّينَ في المساعدة والمظاهرة، كما يَجِدُّ الناسُ في القيام لمساعدة أبنائِهم وذويهم، فلم يقل: (ناسٌ) أوْ (طائفة)؛ فالقومُ هم الَّذين يتظاهرونَ على أمرٍ، ويقومونَ مُتعاونين عليه، وهذا على حدِّ زعمِهم وافترائهم، وإلّا فلا قائمٌ ولا مُقامٌ له.

دلالةُ تنكير ﴿قَوْمٌ﴾:

نُكِّرَ لفظ ﴿قَوْمٌ﴾ لتعظيم شأن القوم، فهم قومٌ استجمعوا صفاتٍ بها قاموا على هذا الأمر الجلَلِ، الَّذي لا يقدر عليه إلّا أصحابُ العِلْم والدِّراية والمعرفة.

فائدةُ الوصفِ بقوله: ﴿ءَاخَرُونَ﴾:

الآخـــرون هم الكتابيّون من غيرِ العرب

وُصِفَ القومُ بأنَّهم ﴿ءَاخَرُونَ﴾، أي: قومٌ آخَرون من أهل الكتاب، فهم آخَرونَ غيرُ العربِ الأمّيّين، وهذا أدعى للتَّصديق، وأقربُ للقبول؛ إذ العربُ معرفون بأنَّهم أمّيّون، وليس لهم كُتُبٌ يقرؤونها، كما لليهود والنصارى، فيكون النَّظمُ من النَّبيِّ ﷺ، والمعاني والأخبارُ من القوم الآخرين، وهذا الزَّعمُ في غاية القُبْحِ وبالغِ السُّخف؛ إذ اشتملَ القرآنُ على تشريعاتٍ وعقائدَ وقوانينَ أخلاقيَّةٍ وسلوكيَّةٍ لا تجدُها في كُتُبِ أهلِ الكتاب وأخبارهم.

نوعُ الفاءِ ومعناها:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو﴾ تفريعيَّةٌ؛ إذ تفرَّعَ على

حكاية قولهم هذا ظهورُ أنَّهم ارتكبوا بقولهم ظُلمًا وزورًا؛ لأنَّهم حينَ قالوا ذلك ظهرَ سريعًا أنَّ قولَهم زورٌ وظُلْمٌ؛ لأنَّه اختلاقٌ واعتداء[1]، فما جاؤوه من "الظُّلم والزّورِ هو عينُ ما حُكيَ عنهم، لكنَّه لمّا كان مُغايرًا له في المفهوم، وأظهرَ منه بُطلانًا؛ رُتِّب عليه بالفاء ترتيبَ اللّازم على الملزوم تَهويلًا لأمره"[2].

لمّا اتَّهم المشركونَ الحقَّ بالافتراءِ؛ كان لازمُه عليهم الظُّلمَ والزّورَ

غرضُ استعمالِ أداة التَّحقيق:

استُعمِلت أداةُ التحقيق في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ لتأكيدِ مَجيئهم بالظُّلم والزّور، وتحقُّقِ ذلك، فإنَّ مَن يفتري الافتراءَ الكبير، ويدَّعي البهتانَ، ويَنسِبُه لصاحب الحقِّ؛ فقد تأكَّد منه الظُّلمُ، وتحقَّقَ الزّورُ، وليكونَ التوكيدُ مُقابلًا لتوكيد القصرِ في قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ﴾، فيتحقَّق التوازن الجدليُّ بينَ توكيدهم نسبةَ الافتراءِ للكتاب المنزَّل معَ توكيد أنَّهم ظلمةٌ في أحكامِهم، ومزوِّرون للحقائق في اتِّهاماتهم.

تأكيدُ ظُلمِ المُفترين وزورِ الكاذبين

بلاغةُ التَّعبيرِ بالفعل: ﴿جَآءُو﴾:

آثر النَّظمُ الكريم استعمالَ الفعل ﴿جَآءُو﴾ دونَ أن يقول: (قالوا) - وهو مُقتضى الظّاهر - لتصويرِ الحدث الجلَلِ الذي فعلوه، والافتراءِ العظيم الذي قالوه، واقترَفوه، فالمجيءُ يكون للحسّيّات، فيكون هنالك استعارةٌ تصريحيَّةٌ، حيث شبَّهوا فعل القول الاتِّهاميِّ بفعل المجيء بالشَّيء، بجامع الإتيان في كلٍّ بأمرٍ، فقد تجاوزوا مستوى القولِ، وصارتْ أقوالُهم أفعالًا على مستوى الإنجاز والتأثير، وقد تعدَّى فعلُ المجيء بنفسِه مع أنَّه يتعدّى في أصله بالحرف، إمّا لتضمينِه معنى الافتراء، كأنَّه قال: فقد افترَوا ظُلمًا وزورًا، أوْ "يكون بمعنى: فعلوا، و﴿ظُلْمًا﴾ مفعولٌ به، والمعنى:

رُبَّ قولٍ أشدُّ من فعلٍ وربَّ افتراءٍ أعظمُ من قتلٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 323.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 84.

فقد فعلَ الكافرون بقولهم هذا ظُلمًا عظيمًا، وزورًا كبيرًا، ويصحُّ أن يكونَ ﴿ظُلْمًا﴾ منصوبًا بنزع الخافض، أي: فقد جاؤوا بظُلْمٍ فظيع، وكذبٍ شنيع"[1]، ويدلُّ فعلُ المجيء مع حرف الجرِّ المحذوف، وهو (الباء) على صعوبة في عمليَّة الإتيان، ممّا يدلُّ على أنَّهم في افترائهم قد ارتكبوا مركبًا صعبًا، حتَّى إنَّهم حملوا الظُّلم والزّور وجاؤوا بهما بكل صعوبة وثقلٍ؛ لأنَّ هذه الاتِّهامات غريبةُ الشَّأن عن القرآن، وحملُها على ظهورهم وإلصاقُها بالقرآن أمرٌ بالغُ الصُّعوبة.

نكتةُ التَّعبيرِ بالفعل الماضي:

جاءَ التَّعبيرُ بفعل ﴿جَآءُو﴾ ماضيًا؛ لأنَّه يدلُّ بزمانِه على تحقُّق فعلِهم وحصولِه حصولًا أكيدًا لا شكَّ فيه، وبمادَّته التي تفيد الصُّعوبة والإلجاء[2]، وببنائِه الذي يتوسَّطُه حرفُ المدِّ على عِظَم ما اقترفوه، وشناعةِ ما قالوه في حقِّ كلام الله، الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيْهِ ولا من خَلْفِه.

بيانُ عِظَمِ ما اقترفوه وشناعةِ ما قالوه

نكتةُ استعمالِ مفردة ﴿ظُلْمًا﴾:

جاءَ استعمالُ مفردة ﴿ظُلْمًا﴾ فيما قاله المشركون في وصفِ القرآنِ، ووحيِ النبيِّ العدنان ﷺ؛ لأنَّهم جعلوا الحقَّ الذي لا شكَّ فيه كذِبًا شنيعًا افتراه بعضُ البشر، مُتجاوزين بذلك حدودَ العدل والإنصاف؛ لأنَّ القرآنَ كلَّه حقٌّ وصدقٌ، وليس فيه شيءٌ من الإفك على الإطلاق، فكانَ وصفُه بما وصفوه أعظمَ ظُلمٍ عرفَه البشرُ في حقِّ رسولٍ، فهم أعلمُ النّاس بالكلام الفصيح، والقول البليغ، واستماعُهمُ القرآنَ وما فيه من العقائد الواضحة والتشريعات البيِّنة والأخلاق القويمة، ثمَّ اتِّهامُهم له بما اتَّهموه به؛ هو عينُ الظُّلم الذي لا يُبلغ قدرُه، ومن المعلوم أنَّ التعبير بالمصدر الدالِّ على الحقيقةِ

لم يُظلَم كتابٌ كما ظُلِم القرآنُ على ألسن المشركين

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 44، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 172.
(2) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (جاء).

يُفيد أنَّهم مُستغرقون في ذلك الظُّلم، حتّى كأنَّهم افترَوا عينَ الظُّلم وحقيقتَه، وفي ذلك مبالغةٌ تتناسبُ مع مبالغتهم الشَّديدة في وصف القرآن بأنَّه إفكٌ مُفترًى على الله تعالى.

نكتةُ استعمالِ مفردة ﴿وَزُورًا﴾:

كلُّ كذبٍ مفترًى مـن صاحـبـه؛ فهو زورٌ

جاء استعمالُ مفردة ﴿وَزُورًا﴾؛ لأنَّ ما وصفوا به الرَّسولَ ﷺ باطلٌ وكذبٌ لا حقيقةَ له، وآثرَ استعمالَ (الزّور)، وهو الكذبُ المحسَّن المموَّه بحيث يَشتبهُ بالصِّدق؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ كلامَهم باطلٌ، وأنَّه كذبٌ عظيم هُم مَن افتراه؛ فالرَّسول ﷺ مشهودٌ له بالصِّدق، والكذبُ عليه ليس كالكذب على غيرِه، والذين زعموا أنَّهم أعانوه، ليسوا بالدرجة التي تُمَكِّنُهم من النَّظم على منوال القرآن في البلاغة والإعجاز، ونلمح أنَّ الاتِّهام الذي أطلقه هؤلاء المكذِّبون المفترونَ قد قامَ على أمرين: **أحدُهما:** أنَّ هذا القرآن كذبٌ وافتراءٌ على الله تعالى، **وثانيهما:** أنَّه مُعانٌ على تأليفه من أهل الكتاب، فجاء الردُّ عليهم بوصفينِ على سبيل (اللَّفِّ والنشر المرتَّب)؛ إذ في نسبتهم هذا القرآن إلى الكذب البيِّن قد وقعوا في الظُّلم، وتجاوزوا الحدَّ في الاتِّهام، فلو كانوا يمتلكون ذرَّةً من العدل في الحُكم أدركوا أنَّه ليس من كلام البشرِ الكاذبينَ والمُفترين، وفي ادِّعائهم أنَّه معانٌ على تأليفه من أهل الكتاب، فقد ارتكبوا في كلامِهم الزّورَ والبهتان؛ إذ لا تشابُهَ بينه وبين تلك الكتبِ إلّا فيما يتعلَّقُ بأخبار بعض الأنبياء مع تغايرٍ كبيرٍ في المضمون والمغزى والمعتقد والتشريع، والظُّلمُ وصفٌ يتجانسُ مع الأفعال، والزّور وصفٌ يتناسبُ مع القول، فكان قولُهم وفعلُهم ظلمًا وزورًا بيِّنًا.

غرض تنكير ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾:

تفخيمُ الظُّلم والـزّور وتعظيمُ آثارهما

نُكِّر لفظُ ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾؛ للتَّفخيم والتَّهويل، أي: جاؤوا ظلمًا عظيمًا هائلًا، لا يُقادَر قَدرُه، وقالوا كذبًا شنيعًا لا حدَّ لشناعته، ولا إحاطة بآثاره.

دلالةُ اقترانِ وصفَي ﴿ظُلْمًا وَزُورًا﴾:

مستقبلُ الإسلامِ الانتشارُ ومستقبلُ الشِّرك الاندثارُ

جاء النَّظمُ الحكيم بقوله تعالى: ﴿وَزُورًا﴾ معطوفًا على المفعول به: ﴿ظُلْمًا﴾؛ ليُبطل الاتِّهام الموجَّه إلى النبيِّ ﷺ بافتراء القرآن، كما أبطلَ اتِّهام القرآن بالإعانة من أهل الكتاب في قوله: ﴿وَزُورًا﴾؛ ذلك أنَّ اتِّهام أحدِهما فيه اتِّهام للآخر، وفي قرن هذين الوصفينِ المتعاطفَينِ دلالةٌ على أنَّ عمل الظالمين المُبطِلين سيؤول بهم إلى دائرة الضَّعة والهوان، وإلى وادي الإهمال والنِّسيان، فكلُّ ظلم موضوعٌ، وكلُّ زور مندثرٌ، ففيه إيماءٌ إلى مستقبل الإسلام بالبقاء والانتشار، ومستقبل الشِّرك بالزوال والاندثارِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإفْكُ والكَذِب:

الإفكُ أفحشُ الكذبِ، وكلُّ إفكٍ كذبٌ، وليس كلُّ كذب إفكًا

الإفك هو: الكذبُ الفاحشُ القُبحِ، مثل: الكذبِ على اللّه ورسولِه، أو على القرآن، ومثل: قذفِ المُحصَنة، وغير ذلك ممّا يفحُش قبحُهُ، أمّا الكذبُ؛ فهو: اسم موضوعٌ للخبر الذي لا مُخْبِر له على ما هو به، وأصلُه في العربية: التقصير، ومنه قولُهم: كذبَ عن قرنِه في الحرب؛ إذا ترك الحملةَ عليه، وسواءٌ كان الكذب فاحشَ القبح، أم غيرَ فاحش القبح[1]، فالإفك أشدُّ ذمًّا من الكذب، ويقترنُ بسوء القصد على الدَّوام، بخلاف الكذب فقد يكونُ عن غير قصدِ إساءةٍ، فبينهما عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ، فكلُّ إفكٍ كذبٌ، وليس كلُّ كذبٍ إفكًا.

الافْتِراء والاختلاق:

الافتراءُ نقلُ الكذبِ والتحدُّثُ به، والاختلاق تلفيقُ الكذبِ والإخبارُ به

الأوَّلُ مشتقٌّ من الثلاثي: (فَرَى)، فهو مزيدٌ بحرفين على وزن: (افتعل)، والثاني مشتقٌّ من الثلاثي: (خَلَقَ)، فهو - كذلك - مزيدٌ بحرفين على وزن: (افتعل).

(1) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 450.

والأوَّلُ، يعني: القطعَ، والثاني، أصلُهُ: التَّقديرُ المستقيم، ويستعملُ: في إبداع الشَّيء من غير أصلٍ ولا احتذاء[1]، فالفرقُ بينهما: أنَّ "افترى، يعني: قطع على كذبٍ، وأخبرَ به، واختلقَ، يعني: قدَّر كذبًا، وأخبرَ به"[2]، كما أنَّ الافتراء يدلُّ على كذبٍ على الآخرِ بما لا يرتضيه، ولا يقبله، بخلاف الاختلاق فإنَّه صنعُ كذبةٍ سواءٌ كان الآخرُ يَرتضيها أم لا، وعلى هذا فكلُّ افتراءٍ اختلاقٌ، وليس كلُّ اختلاقٍ افتراءً، وبينهما علاقةُ عمومٍ وخصوصٍ مطلقٍ أيضًا.

المجيء والإتيان:

المجيء يدلُّ على عِظَم ما يترتَّبُ عليه، والإتيان مجيءٌ بسهولة

"المجيء كالإتيانِ، لكنَّ المجيء أعمُّ؛ لأنَّ الإتيانَ مجيءٌ بسهولة، والإتيانُ: قد يقال باعتبار القصدِ، وإنْ لم يكن منه الحصولُ، والمجيءُ: يقال اعتبارًا بالحصول، ويقال في الأعيان والمعاني، ولِما يكون مجيئُه بذاته وبأمره، ولِمَن قصد مكانًا أوْ عملًا أو زمانًا"[3].

(1) الراغب، مفردات القرآن: (خلق).
(2) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 62.
(3) الراغب، مفردات القرآن: (خلق).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»